

## التربية والتعليم في ضوء نصوص القرآن والحديث

أ.د. دلال عباس

يهدف هذا البحث إلى الإضاءة على قضية التربية والتعليم وعناصرها ووسائطها في ضوء النصّ القرآنيّ وأحاديث المعصومين اعتماداً على المنهجين الوصفي والتحليلي.

يُقسم البحث إلى مقدّمة عامة تتناول موضوع التربية والتعليم لغويّاً ومفهوميّاً ودينيّاً، ومتنّ يتضمّن الإجابات عن الأسئلة التالي نصّها:

- هل التعليم والتربية عمليتان منفصلتان أم مترابطتان، ولماذا قُدّمت لفظة التربية على لفظة التعليم؟
- ما هي قيمة العلم والمعرفة والتوجيه والإرشاد والتركيب في النصّ القرآنيّ وفي أحاديث المعصومين؟
- متى تبدأ عملية التربية، وما هي عناصرها ووسائطها؟
- ما هي الأبعاد الفردية لعملية التربية والتعليم عقليّاً وعاطفيّاً وسلوكيّاً، وما هي أبعادها الأسرية والاجتماعية في النصّ القرآنيّ وأحاديث المعصومين؟
- ما هو دور الأهل والمؤسسات التعليمية في عملية التربية، وما هي أهمية القدوة والرموز في عملية التربية والتعليم؟
- هل تطرقت الآيات والأحاديث إلى قضية مراعاة الفروق الفردية بين الأفراد، لتحقيق الهدف النهائي من عملية التربية والتعليم؟

ستجيب هذه الورقة عن هذه الأسئلة وما ينقرّع عنها وصولاً إلى النتيجة المبتغاة.

### الألفاظ المفتاحية:

التربية والتعليم، القرآن وأحاديث المعصومين، عناصر التربية، الأهل، المعلمون، القدوة، الرموز الدينية، الفروق الفردية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### **تمهيد**

إنّ عملية التربية والتعليم في الإسلام عملية مستمرة من المهد إلى اللحد، باتّباع تعاليم القرآن والسنة النبوية الصحيحة، وما ورد عن الأئمة المعصومين عليهم السلام، وهذه العملية تبدأ قبل الولادة وبعدها وفي مختلف مراحل العمر، وتقع على عاتق الأهل والمعلمين والعلماء والمصلحين أنفسهم وغيرهم. وقد وصف إمام المتّقين عليّ بن أبي طالب عليه السلام الإسلام بقوله: " إنّ هذا الإسلام دينُ الله الذي اصطفاه لنفسه، ثمّ جعله لا انفصامَ لعزّوته، ولا فكَّ لحلقته، ولا انهدامَ لأساسه، ولا زوال لدعائمه، ولا انقلاع لشجرته، ولا

انقطاع لمدته، ولا عفاء لشرائعه، ولا جذاً لفروعه"<sup>1</sup>، والله عزّ وجلّ وصف القرآن بقوله: {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ؛ لينذر من كان حياً} (يس/٦٩-٧٠)؛ {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ؛ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ} (التكوير/٢٧-٢٨). وقال الرسول الأكرم (ص): "... أنا والله خاتمُ النبيين والمرسلين والحجّة على جميع المخلوقين من أهل السماوات والأرضين"<sup>2</sup>؛ وعن الرسول الأكرم (ص) أنه قال: "مثلي ومثّل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأتمّها وأكملها إلا موضعَ لبنةٍ، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون: لولا موضعُ اللبنةِ! قال رسولُ الله (ص) فأنا موضع اللبنةِ، جئتُ فختمتُ الأنبياء"<sup>3</sup>؛ وقال الإمام جعفر الصادق: "إن الله ختم بنبيكم النبيين، فلا نبيّ بعده أبداً، وختم بكتابتكم الكتاب فلا كتاب بعده أبداً، وأنزل فيه تبيان كل شيء، وخلقكم وخلق السماوات والأرض، ونبأ ما قبلكم، وفصل ما بينكم وخبر ما بعدكم..."<sup>4</sup>

من كلام الله عزّ وجلّ ومن كلام المعصومين نسترشد في ما نقول وما نفعل؛ نعلم أنفسنا ونربيها، ونعلم الموكل إلينا تعليمهم وتربيتهم.

## ما التربية والتعليم؟

هل التربية والتعليم مفهومان مستقلان عن بعضهما أم متلازمان؟ إن ورود لفظي التربية والتعليم معاً كأنهما مصطلح واحد، يعني أنّهما متلازمان تلازماً شرطياً، ومترابطان ترابطاً عضوياً، وأنهما قضية واحدة لا قضيتين. أمّا تقديم مصطلح التربية على مصطلح التعليم، فعلى الرغم من أنّ التربية لا تتحصّل إلا من خلال عملية التعليم، تبقى عملية التعليم قاصرة ما لم تتحقّق من ورائها عملية التربية، فالتربية هي الهدف النهائي للتعليم.

**لُغَوِيًّا:** التربية مشتقة بحسب معجم مقاييس اللغة من الجذرين (أ ر ب) و (ر ب أ) اللذين يدلّان على أصل واحد وهو الزيادة والنماء والعلو، ويقال ربيته إذا عدّوته، وهذا ممكن على معنيين أحدهما أنّه إذا ربّي نما وزكا وزاد، والآخر من التريب، ويجوز أن تكون إحدى الباءات ياءً والوجهان جيّدان"<sup>5</sup>؛ والتربية بحسب المصباح المنير من (ر ب و)، والرّبا: الفضل والزيادة، وهو مقصورٌ على الأشهر، وربّي الصغير

<sup>1</sup> نهج البلاغة، تحقيق صبحي الصالح، ص 414.

<sup>2</sup> الحلي، العبد القويّة، ص 173.

<sup>3</sup> النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم، ج4، ص 179. والعروي الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج4، ص 285.

<sup>4</sup> الكليني، الكافي، ج1، ص 670.

<sup>5</sup> ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص 483.

من باب تعب، وربما يربو من باب علا: إذا نشأ، ويتعدى بالتضعيف، فيقال: رَبَّيْتُهُ فتربى<sup>6</sup> وفي تاج العروس، " ر ب و - ربا الشيء رُبُوًّا، أو رِبَاءً: زاد ونما وعلا؛ وأرْبَيْتُهُ: نمَيْتُهُ وهو الصواب، وربَّيته تربية أي عَدَوْتُهُ"<sup>7</sup>.

أما التربية كما عرفها المُحدِّثون فهي "تتمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئاً فشيئاً، تقول: رَبَّيتَ الولدَ إذا قَوَّيتَ ملكائِهِ ونَمَّيتَ قدراتِهِ، وهَدَّبتَ سلوكَهُ، حتى يصبح صالحاً للحياة في بيئة معينة، وتقول: تربى الرجل إذا أحكمته التجارب ونشأ نفسه بنفسه"<sup>8</sup>.

لم ترد كلمة التربية في القرآن الكريم، وإنما ورد الفعل ربى بالمعنى المادي في قوله تعالى: { قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ } ( الشعراء/١٨)، وعن الوالدين: { وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَانِي صَغِيرًا } (الإسراء/٢٤).

وعن الرسول الأكرم: إن الله ليربِّي لأحدكم الصدقة كما يُربِّي أحدكم ولده، حتى يلقاه يوم القيامة وهو مثلُ أحدٍ<sup>9</sup> وعن عليّ بن أبي طالب (ع) عن الرسول (ص): " فتصدَّقوا ولو بشِقِّ تمرَةٍ... فإنَّ الله يُربِّيها لصاحبها كما يُربِّي أحدكم فلوله أو فصيلة... حتى تكون أعظم من الجبل العظيم"<sup>10</sup> وعن عليّ بن أبي طالب في مدح الأنصار: "هم والله ربوا الإسلام كما يُربِّي الفلؤ..."<sup>11</sup>

أما مصطلح التربية فنجد في ما بعد في كلام الإمام زين العابدين والأئمة من بعده، يقول الإمام زين العابدين (ع) في دعائه لأبويه: "اللهم اشكرْ لهما تربيتي... أين إذا يا إلهي طولُ شغلِهما بتربيتي؟"<sup>12</sup> وفي دعائه لأولاده: "وأعني على تربيتهم وتأديبهم وبرهم"<sup>13</sup>. وعن موسى الكاظم (ع): "ثمانية أشياء من كن فيه أدخله الله الجنة ونشر عليه الرحمة: "من أوى اليتيم وبرَّ والديه، وأحسن تربية ولده، ورفق بمملوكه..."<sup>14</sup> وعن الحسن العسكري (ع): "ومن رحمته (أي الله عز وجل)... أنه جعل القوة في أمه (أي أم الإنسان) ورفقها عليه لتقوم بتربيته وحضانتها، فإن قسا قلب أم من الأمهات، أوجب تربية هذا الطفل وحضانتها على سائر المؤمنين"<sup>15</sup>.

ثمة في القرآن الكريم وفي أحاديث المعصومين كلمات أخرى مثل إرشاد وتأديب وتركية ودلالة وهداية، يقارب معناها إلى حد كبير معنى كلمة تربية، لا مجال في هذا البحث للتوسّع فيها.

<sup>6</sup> الفيومي، المصباح المنير، ج2، ص217.

<sup>7</sup> الزبيدي، تاج العروس، ج19، ص443.

<sup>8</sup> صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، ص266.

<sup>9</sup> العباسي، تفسير العياشي، ج1، ص153.

<sup>10</sup> الطوسي، تهذيب الأحكام، ص458.

<sup>11</sup> نهج البلاغة، ت صبحي الصالح، ص557.

<sup>12</sup> الإمام زين العابدين، الصحيفة السجادية، ص152، الدعاء 24.

<sup>13</sup> م، ن، ص156، الدعاء 25.

<sup>14</sup> الكراكي، معدن الجواهر، ص64.

<sup>15</sup> العسكري، التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري، ص34.

أما في علم النفس فنعرّف التربية " أنها عملية منتظمة أو مستمرة تهدف إلى توجيه النمو البدني والعقلي والنفسي أو بشكل عام لتوجيه التنمية الكاملة لشخصية الأفراد في اكتساب العلوم البشرية وفهمها وفهم المجتمع للمعايير، فضلاً عن المساهمة بازدهار مواهبهم"<sup>16</sup>

## التعليم

لغةً بحسب الفراهيدي من " ع ل م يعلمُ علماً، نقيض جهل ... وأعلمته بكذا أي أشعرته، وعلمته تعليماً"<sup>17</sup>، وبحسب ابن منظور من: "ع ل م ... العلم نقيض الجهل ... وعلمت الشيء أعلمه علماً: عرفته ... وعلمه العلم وأعلمه إياه فتعلمه ... وعلمته الشيء فتعلم ... والتشديد هنا ليس للتكثير"<sup>18</sup>، وفي القرآن وصف الله عزّ وجلّ نفسه على أنه المعلم، وهذا تأكيد على أهمية التعلم والتعليم: { أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ؛ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ؛ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ } (العلق/ ٣-٥)؛ و { الرَّحْمَنُ؛ عَلَّمَ الْقُرْآنَ؛ خَلَقَ الْإِنْسَانَ؛ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ } (الرحمن/ ١-٤)؛ و { فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا؛ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ آتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا } (الكهف/ ٦٥-٦٦). ووصف القرآن النبيّ أنه معلم الناس الحكمة كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون { (البقرة/ ١٥١).

ومدح العلماء { ... يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجاتٍ ۗ والله بما تعملون خبيرٌ } (المجادلة/ ١١).

وفي الحديث أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "إنّ معلّم الخير يستغفر له دوابُّ الأرض وحيثان البحر، وكلّ ذي روح في الهواء، وجميع أهل السماء والأرض"<sup>19</sup>

وقال: " من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها وعلمها فأحسن تعليمها، كانت له منعة وسترا من النار"<sup>20</sup>، وهذا تأكيد على وجوب تعليم البنات في عصر كان أهله يندون بناتهم؛ وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "من كانت له جارية فأدبها، فأحسن أدبها وعلمها فأحسن تعليمها، ثمّ أعتقها وتزوجها فله أجران"<sup>21</sup>.

ويرى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّ من واجبات الحاكم العادل، ( وتالياً مسؤوليّة الدولة) إخراج الناس من جهلهم بتعليمهم، وتعليمهم يكون هدفه المعرفة: "أيها الناس ... أما حقكم عليّ فالنصيحة لكم وتوفير فينكم عليكم، وتعليمكم كي لا تجهلوا، وتأديبكم كيما تعلموا"<sup>22</sup> وقال في خطبة الهمام: " مذكّر للعالم، معلم للجاهل"<sup>23</sup>، وقال: "من نصب نفسه للناس إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحقّ بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم"<sup>24</sup>، وهذا تأكيد على أنّ المعلم يجب أن يكون من الناحية السلوكية قدوة للمتعلمين، وعلى أنّ التعلم عملية مستمرة طيلة الحياة،

<sup>16</sup> سيف، علم النفس التعلّم والتعليم، ص 37.

<sup>17</sup> الفراهيدي، كتاب العين، ج2، ص 152.

<sup>18</sup> ابن منظور، لسان العرب، ج2، ص 870.

<sup>19</sup> المجلسي، بحار الأنوار، ج2، ص 17.

<sup>20</sup> المتقي الهندي، كنز العمال، ج16، ص 452.

<sup>21</sup> ابن حنبل، المسند، ج4، ص 414؛ ابن ماجه، السنن، ج1، ص 229.

<sup>22</sup> نهج البلاغة، ص 79.

<sup>23</sup> الكليني، الكافي، ج5، ص 121.

<sup>24</sup> الشهيد الثاني، منية المرید، ج16، ص 150.

والعاقِل من يعلِّم نفسه باستمرار. وعن حسان المعلم قال: "سألت أبا عبد الله عن التعليم فقال: لا تأخذ عليّ التعليم أجراً، قلت: والشعرُ والرسائلُ؟ قال نعم بعد أن يكون الصبيانُ عندك سواءً في التعليم، لا تفضّل بعضهم على بعض"<sup>25</sup>. وهذا تأكيدٌ على أنّ تعليم الأمور الدينية يجب أن يكون مجانيّاً، لا بأس من تقاضي الأتعاب على غير ذلك من العلوم شريطةً عدم التفرقة بين المتعلّمين.

وعن العلاقة بين التربية والتعليم يمكن القول: في التعليم يؤخذ في الحسبان بعداً واحداً هو البعدُ المعرفي والعلمي، ولكنّ التربية شاملةٌ ومتعدّدة الجوانب، ولها بعدٌ أخلاقيٌّ وسلوكيٌّ، والتعليم يقوم به عاداً معلّم في مكان معيّن مثل المدرسة وقاعات التدريس، ويتحقّق التعليم عندما تزداد معرفة الفرد؛ ولكنّ التربية تتحقّق عندما تتجلّى التعاليم في سلوك الفرد؛ وفي الثقافة الدينية تعادل كلمة التزكية كلمة التربية، أي أنّ من تركى فقد طوى درجات الكمال، ولكنّ امتلاك التعليم والوعي غير مساوٍ للكمال، وربما كان عقبةً خطيرةً أمام الكمالِ البشريّ في ما يتعلّق ببعض العلوم (التي تنتج سلاح الدمار الشامل مثلاً).

إنّ التربية والتعليم مترابطان مفهوميّاً ترابط العلة والمعلول، ترابطاً وتواصلًا بيّنيّاً، أي أنّهما ليسا عاملين منفصلين، وإتّما يجتمعان في مواقع الممارسة والتطبيق ويتكاملان، فالتربية لا يمكن أن تتحقّق من دون التعليم، والتعليم لا يمكن أن يكتمل من دون التربية؛ وفي القرآن استُخدم مفهوم التزكية الأقرب إلى التربية أربع مرّات مع كلمة التعليم:

{ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } (البقرة/ 129) ، جاءت كلمة التعليم في دعاء إبراهيم هذا قبل التزكية، إشارة إلى أنّ التعليم مقدّمة لازمة للتزكية، لكنّ في الآيات الثلاث الأخرى جاءت كلمة التزكية قبل التعليم للدلالة على أنّ الهدف الأساسي هو التزكية:

{ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } (البقرة/ 101)

{ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } (آل عمران/ 164).

{ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ } (الجمعة/ 2).

إذاً التربية والتعليم عمليّة واحدة لا عمليّتين منفصلتين، والتربية عمليّاً مقدّمة على التعليم قدرًا وأهميّةً، وهي الهدفُ الأساسيُّ من التعليم.

<sup>25</sup> الكليني، الكافي، ج5، ص 121 .

## ما هي العوامل والعناصر المؤثرة في التربية

أكد العلم الحديث على أهميّة العامل الوراثي مقابل عوامل البيئة والتعلّم والتربية والوالديّة والنموّ، وهناك أدلة على أنّ أبعاد شخصيّة الإنسان موروثه، لكنّ الجدّل بين علماء التربية ينصبّ على مدى تأثير العناصر الوراثية في خيارات الإنسان؛ كما أنّ هنالك كلامًا كثيرًا على تأثير البيئة البيئية انطلاقًا من ترتيب المواليد، والموقع في الأسرة، واختلاف البيئات الاجتماعيّة، وتنوّعها، ومستوى التعليم ونوعيته، والقيم التي يحملها المعلّمون، وثقافة المجتمع، والأحداث الاجتماعيّة الواسعة النطاق والعميقة التأثير، كالحروب والركود الاقتصادي، والخلفية العرقيّة، وأخيرًا الحقبة الزمنيّة التي يتربى فيها الفرد، لذلك قال امير المؤمنين عليه السلام: "لا تُفسروا أولادكم على آدابكم، فإنهم مخلوقون لزمانٍ غير زمانكم"<sup>26</sup>.

## متى تبدأ عملية التربية في الإسلام؟

تبدأ عمليّة التربية قبل الولادة، بمعنى أنّ الطفل يجب أن يولد من علاقة شرعيّة بين الأبوين، ولذلك جاء تحريم الزنى في القرآن تحريمًا قاطعًا منذ بداية الدعوة، ولم يأت تحريمه متدرّجًا كما هي الحال في تحريم الخمر والرق، وعن ذلك قال الإمام الصادق (ع): "خلق الله الجنّة طاهرة مطهّرة لا يدخلها إلا من طابت ولادته"<sup>27</sup>؛ ورؤي عن النبي الأكرم (ص) أنّه قال: تخيروا لنطفكم فإنّ الخال أحد الضّجيعين"<sup>28</sup>، وقال "تخيروا لنطفكم وانتخبوا المناكح"<sup>29</sup>، وقال: "أنظر في أيّ نصابٍ تضع ولدك فإنّ العرق دسّاس"<sup>30</sup>، وقال: "انكحوا الأكفاء واختاروا لنطفكم"<sup>31</sup>، وقال الإمام الصادق عليه السلام: "تزوّجوا في الحُجر الصالح فإنّ العرق دسّاس"<sup>32</sup>؛ ومن حكمة الله البالغة أنّ النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم لم يُنجب من بعض زوجاته، ولم يعيش له من الأولاد إلاّ الزهراء عليها السلام التي ولّدتها السيدة خديجة رضي الله عنها؛ وتطالعنا في سيرة أمير المؤمنين كيفيّة اختياره لأمهات أولاده بعد وفاة الزهراء عليها السلام، ونعرف من خلال قراءتنا للتاريخ الإسلاميّ الإساءات التي ألحقها أولئك الذين لم تطبّ ولادتهم بالدين وأهله وبعامّة الناس.

<sup>26</sup> نهج البلاغة، شرح ابن أبي الحديد، ص 536.

<sup>27</sup> البرقي، المحاسن، ج1، ص 139.

<sup>28</sup> ابن أبي جمهور، قرب الإسناد، ج1، ص 259.

<sup>29</sup> المتقي الهندي، كنز العمال، ص 302.

<sup>30</sup> القضاعي، شهاب الأخبار، ص 309.

<sup>31</sup> الكليني، الكافي، ج5، ص 332.

<sup>32</sup> الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص 197.

وردت كذلك أحاديث للنبي وللأنمة المعصومين عن الاهتمام بالحوامل والاحتفاء بالولادة وإقامة وليمة، ومن غُسل المولود والأذان والإقامة في أذنه، وعن حُسن اختيار اسمه، والعققة والختان، وحلق رأس الطفل والتصدق بما يوازي الشعر من وزن؛ كما أنّ القرآن قد حدّد مدّة الرضاعة، ورُوي عن الرسول الأكرم (ص) أنّه قال: "ليس للصبّي خيرٌ من لبنِ أمّه"<sup>33</sup>؛ وعن أمير المؤمنين عليه السلام: "تخيروا للرضاع كما تتخيرون للنكاح، فإنّ الرضاع يُغيّر الطباع"<sup>34</sup>.

### التربية والتعليم والتعلم عملية مستمرة من المهد إلى اللحد

تبدأ عملية التربية كما ذكرنا قبل مرحلة الولادة، إذا أحسن الإنسان اختيار الشريك، وبعد الولادة يأتي دور الأسرة في مرحلة الطفولة الأولى، ومن ثمّ يتشارك الأهل والمدرسة والبيئة عملية التربية والتعليم؛ وإن تربي الطفل والغلام على القيم السليمة، حرّاً قادراً على التمييز بين الصّحّ والخطأ، وبين الخير والشرّ، سيتمكّن بعد ذلك من تهذيب نفسه بنفسه، وإعادة تقويم سلوكه، إنّ هو أحسن اختيار الذين يفقدي بهم، وعرف أهمية المسؤولية الملقاة على عاتقه في هذه الدنيا، بعد أن يضع نصب عينيه أنها ليست إلا دار امتحان وممرّاً إلى الحياة الحقيقية.

إنّ القرآن الكريم يؤكّد على قابليّة الإنسان للتربية، والقرآن نفسه الذي هو بحدّ ذاته كتابٌ تربويّ، يبيّن من خلال الأمثال والحكم والقصص والتعاليم الأخلاقية والفرائض والأحكام أن لدى البشر قابليّات الوعي وتلقّي العلوم وإصلاح السلوك والمنطق، فالله عزّ وجلّ خلق الإنسان وخلق له القابليّة التدريجيّة للتربية، وما نزول القرآن منجّماً على مدى ثلاث وعشرين سنة إلا ليتمكّن المؤمنون من الالتزام بتعاليمه تدريجيّاً؛ والله عزّ وجلّ قد بعث الأنبياء والرسل والأوصياء لتهذيب البشر وهدايتهم: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ } (الأنفال/ ٢٤).

يمرّ الأطفال منذ يومهم الأوّل في هذه الدنيا إلى حين بلوغهم سنّ الرشد عبر مراحل متواليّة متصلة، يمكن عدّها فصولاً محدّدة لتاريخ واحد..

كلّ مرحلة منها لها بناؤها الخاص، وينبغي للتربية أن تتطابق قدر الإمكان مع هذه المراحل النفسية، فهذا هو السبيل الأوحد الذي يُبرز استعدادات المتربي ويظهرها. ويمكن الادّعاء أنّ مفهوم المرحلة غدا جزءاً من نظريّة التربية والتعليم الحديثين.

وتأكيداً على ذلك وعلى أنّ عملية التربية عملية مستمرة وغير مرتبطة بعمر معيّن قول أمير المؤمنين عليه السلام الذي سبق به كلّ النظريات التربويّة الحديثة: "يُربى الصبّي سبّعاً، ويؤدّب سبّعاً، ويُستخدم سبّعاً ومنتهى طولِهِ في ثلاثٍ وعشرين سنةً وعقلِهِ في خمسٍ وثلاثين سنةً، وما كان بعد ذلك فبالنّجارب"<sup>35</sup>.

معنى ذلك وجوب التدرّج في عملية التربية خطوةً خطوةً، من المهمّ إلى الأكثر أهميةً، ومن البديهيّ والأسهل إلى الأصعب، ومن المرحليّ إلى طويل الأمد، والله عزّ وجلّ أنزل القرآن المجيد الذي فيه تفصيل كلّ شيءٍ على مدى ثلاثٍ وعشرين سنةً.

<sup>33</sup> العروسي والجوزي، نور الثقلين، ج 1، ص 228.

<sup>34</sup> الحميري، قرب الإسناد، ص 93.

<sup>35</sup> الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج 3، ص 493.

هُوَ قَرَأْنَا فَرَقْنَا لَهُ لِنَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا { (الإسراء/١٠٦).

وروي عن الإمام جعفر الصادق قوله: "الغلام يلعب سبع سنين ويتعلم الكتاب (في الكتاب) سبع سنين، ويتعلم الحلال والحرام سبع سنين"<sup>36</sup>؛ وروي الحديث نفسه على نحو آخر: "دع ابنك يلعب سبع سنين، ويؤدب سبع سنين، وألزمه نفسك سبع سنين، فإن أفلح، وإلا فإنه ممن لا خير فيه"<sup>37</sup>.

وفي هذين الحديثين أوصى الإمام عليه السلام بالنشاط والرياضة في السنوات السبع الأولى بعنوان "اللعب"، وفي السبع الثانية يتعلم الآداب والعلوم وفنون الحياة ومهاراتها، وذلك في المدرسة خارج المنزل، وفي السبع الثالثة يجب أن يُعلم ما يحب وما لا يحب من الأقوال والأفعال: فإن قام الوالدان والمعلمون والمربون في هذه السنوات العشرين وواحدة بما عليهم من وظائف، ولم يبلغ المتربي ما يُرجى منه من الفلاح والنجاح، فلا لوم عليهم.

وفي ضوء مبدأ التدرج في رعاية الأولويات، يقول أمير المؤمنين عليه السلام: "العلم أكثر من أن يُحاط به، فخذوا من كل علم أحسنه"<sup>38</sup>؛ ويقول: "خذوا من كل علم أحسنه، فإن النحل يأكل من كل زهر أزيته، فيتولد منه جوهران نفيسان: أحدهما فيه شفاء للناس والأخر يستضاء به"<sup>39</sup>.

إنّ التمثيل بالنحل في جمع العسل ورحيق الأزهار وإنتاج الشمع والعسل، يهون على المربين الطريق الشاق في الحصول على أجود الملاحظات العلمية والتربوية، والعملية أكثر من غيرها.

لتدريب الطفل على أنماط السلوك الحسنة، يمكن أن نعطي مثلاً واحداً للأهل وللمربين ولل كبار بشكل عام، يكونون من خلاله قدوةً للأطفال الصغار وللفتية، هو موضوع التحية والسلام، وقد أمر الله عز وجل الإنسان أن يُسلم على غيره لتوثق العلاقات الاجتماعية:

هُوَ إِذَا حُبِبْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوْهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا { (النساء/٨٦)؛ {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (النور/٢٤)؛ وفي الحديث النبوي: "أولى الناس بالله وبرسوله من بدأ بالسلام؛ السلام تطوع والرد فريضة"<sup>40</sup>، وعن الإمام الصادق (ع): "ابدأوا بالسلام قبل الكلام، فمن بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه"<sup>41</sup>. إنّ تعليم الأطفال السلام والتحية، وتوقع ذلك منهم وفاق العادة الاجتماعية المحمودة، أو رده عليهم مصحوباً بابتسامة حنون؛ يؤثر تأثيراً شديداً في بناء شخصياتهم. إنّ التحية والسلام لبنة صغيرة مؤثرة في بناء علاقة الطفل بأقرانه وبالكبار. وتصبح هذه اللبنة أشدّ صلابة إن دُرّب الصغار على التسابق لإلقاء التحية، بأن يحيي الكبير الصغير، فيقلده، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يسبق الصغار في السلام عليهم، ليكون عمله هذا سنة من بعده: روي "أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرّ على صبيان فسلم عليهم...، قال: ... لا أدع حتى الممات التسليم على الصبيان لتكون سنة من بعدي"<sup>42</sup>.

<sup>36</sup> الكليني، الكافي، ج6، ص 47. والطوسي، تهذيب الأحكام، ج8، ص 111.

<sup>37</sup> الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج3، ص 492.

<sup>38</sup> التميمي الأمدي، غرر الحكم، ص 98.

<sup>39</sup> م.ن، ص 346.

<sup>40</sup> الكليني، الكافي، ج2، ص 644.

<sup>41</sup> م.ن، ج.ن، ص.ن.

<sup>42</sup> المجلسي، بحار الأنوار، ج16، ص 99.



### كيف يُربى الطفل ليصبح إنساناً مختاراً لأفعاله:

فضلاً عن تدريب الطفل على حسن السلوك منذ الصغر، من خلال تقليد الكبير (المفترض أنه قدوة له)، يجب تدريبه وتربيته على نحو يكون فيه حراً مختاراً ذا إرادة، يمكنه أن يميّز بين ما يجب فعله وما يجب تركه. إن عمل أهل والمربين في الطفولة الأولى على تنمية العقل والإرادة لدى الأطفال، هو أهم عمل يقومون به: فمبدأ الإرادة الحرة فطرة جميع البشر، وهي عطيّة كريمة من الخالق جلّ وعلا، وسلب هذه الإرادة (إن استخدمت أساليب تربويّة قمعية في المنزل أو في المدرسة في مرحلة الطفولة) سيؤدي حتماً إلى مسخ هويّة الإنسان أشرف المخلوقات: فانه عزّ وجلّ لا يُحاسب إلاّ الإنسان العاقل الحرّ المختار:

﴿وَقُلْ لِحَقِّهِ مَنْ رَبُّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ...﴾ (الكهف/٢٩)؛ ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (النساء/٥)؛ ﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا

يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا { (الإسراء/ ١٥) ؛ {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ} (الأنفال/ ٥١).

يجب أن يكون الإنسان عاقلاً حراً ليميز بين الخير والشر، فيختار الأعمال الصالحة الخيرة، ويمتنع عن الشر وكل ما فيه ضررٌ ماديٌّ ومعنويٌّ عليه وعلى الآخرين. ذلك لأن الله عادلٌ وعدله مطلق. يثيب من أثاب عن بيئة، ويعاقب من عاقب عن بيئة.

يتوجب على الوالدين ومن ثم المرَبين، أولاً وقبل كل شيء تنمية الإرادة لدى الأطفال منذ السنين الأولى، أن يُدرَّب الطفل على التمييز بين ما يضره وما ينفعه، من دون قمع أو تعنيف في السنوات السبع الأولى، وحتى التأديب في السنوات السبع التالية يجب ان يكون بأساليب بعيدة عن التحقير والتعنيف والإذلال، لأن توفير الأجواء المناسبة لرشد الاطفال وتطورهم يمكنه أن يحد من ظهور العناء النفسي والاضطرابات العصبية، ولأن الطبيعة البشرية مرنة، والإنسان حصيله عملية التعلم التي تتأثر بالمتغيرات الخارجية، والتي يمكنها أن تعدل إلى حد ما من العوامل الوراثية: فإن استطاع الأهل والمربون أن يجعلوا من أنفسهم قدوةً للأطفال يمكن أن يؤثر في تعديل سلوكهم، وقد أكدت الروايات والأحاديث على ضرورة ممارسة العدالة في الأسرة، وتعزيز العلاقة القائمة على المحبة المتبادلة والتعاطف والتراحم بين أفراد العائلة: إن علاقة الوالدين وكيفية معاملة أحدهما للآخر تؤثر في نفسية الأولاد؛ والتجربة أثبتت أن سوء معاملة الزوج لزوجته، تؤدي إلى الإضطرابات العصبية لدى الأطفال لشعورهم الدائم بالخوف، وقد قال الرسول الأكرم "أحسنُ الناس إيماناً أحسنهم خُلُقاً وأطفهم بأهله، وأنا أطفكم بأهلي"<sup>43</sup>، وقال " اعدلوا بين أولادكم في السر، كما تحبون أن يعدلوا بينكم بالبر واللفظ"<sup>44</sup>، ورؤي عنه صلى الله عليه وآله وسلم: "أنه نظر إلى رجل له ابنان، فقبل أحدهما وترك الآخر فقال النبي: هلا ساربت بينهما"<sup>45</sup>؛ وقال أمير المؤمنين (ع): " عليك بلزوم الحلال وحسن البر بالعيال، وذكر الله في كل حال"<sup>46</sup>.

وتأكيداً على أن قواعد السلوك من المفترض أن يكتسبها الإنسان تلقائياً من المنزل أي من الأبوين أو من يقوم مقامهما قول الإمام الرضا (ع): "ومر الصبي فليصدق بالكسرة والقبضة..."<sup>47</sup>، وهكذا تصبح الصدقة عادةً لديه، قبل أن تكون فريضةً.

يجب أن يكون الأبوان (والمرَبون عامةً) قدوةً لأبنائهم، وهذا واجبهم، لكن إن لم يكونا قدوةً، وتبين للولد بعد أن نما عقله، ووجد له قدوةً غيرهما: نبياً أو إماماً أو معلماً، أنهما غيرُ جديرين بالطاعة، توجب عليه أن يختط لنفسه طريقاً غيرَ طريقهما، وفي هذه الحال وصاه الله عز وجل بوالديه إنسانياً أن لا ينسأهما كما تنسى البهائم والديها، وأن يراعهما ولا يقول لهما إلا قولاً حسناً {... فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُمَّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} (الإسراء/ ٢٣)؛ {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ} (لقمان/ ١٤)؛ { وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِإِحْسَانٍ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ

<sup>43</sup> الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج2، ص 38.

<sup>44</sup> الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص 220.

<sup>45</sup> م.ن، ص.ن.

<sup>46</sup> التميمي الأمدي، عزر الحكم، ص 446.

<sup>47</sup> الكليني، الكافي، ج4، ص 30.

الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنَّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ { (الأحقاف/١٥).

إنَّ السنوات الأربعة عشر الأولى مرحلة أساسية ومفصلية في تربية الإنسان، فهي تتضمن الكثير من المقدمات التحضيرية التي يتخذ فيها الإنسان شخصية أولية تكون العامل المؤثر في النمو الحياتي المستقبلي، لذلك يجب حسابها مرحلة التمهيد للتربية النهائية، ويجب أن تكون مقدمة لمرحلة ما بعد البلوغ؛ فالتدريب على العبادات من دون فرض قبل عمر التكليف، يهون التزام البالغ بها. ونحن نلاحظ بيننا أشخاصا متدينين لكن أخلاقهم سيئة، لماذا؟ لأن أنماط السلوك وحسن الخلق تُكتسب في مرحلة الطفولة؛ وقليلون الذين تمكنوا من التخلص عن العادات وأنماط السلوك التي وسمهم بها آباؤهم وأمهاتهم. ولا معنى للتدين إن لم يقترن بمكارم الأخلاق.

### ما هي أبعاد العملية التربوية؟

إنَّ التربية يجب أن تركز على تنمية الجسم والروح والعقل، وأي تقصير أو إخلال في تهذيب أحد هذه الأبعاد الثلاثة، سيخل حتماً بتوازن شخصية الإنسان؛ وقد وردت أحاديث ووصايا تتعلق بالتغذية والرعاية وكل ما يساهم في حفظ الجسم وسلامته؛ وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: "علموا أولادكم السباحة والرمية وركوب الخيل"<sup>48</sup>، وفُرضت أعمالٌ تهدف إلى تقوية النفس والتغلب على الشهوات، وقد روي عن الإمام الحسين وعن الإمام الصادق عليهما السلام القول: "الصبر الصوم/ الصيام"<sup>49</sup>، وعن أمير المؤمنين (ع): "إن الله عز وجل حرس عباده المؤمنين بالصلوات والزكوات ومجاهدة الصيام في الأيام المفروضة تسكيناً لأطرافهم وتخفيفاً لأبصارهم وتذليلاً لنفوسهم وتخفيفاً لقلوبهم"<sup>50</sup>؛ فالصوم ليس اجتناب الطعام والشراب فحسب؛ إنما هو الابتعاد عن المحرمات كافة، مما يدعم الإنسان في مواجهته لنفسه، ويجعله قادراً على السيطرة على شهواته؛ قال أمير المؤمنين "الصيام اجتناب المحارم كما يمتنع الرجل عن الطعام والشراب"<sup>51</sup>.

وقال الرسول الأكرم: "معاشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإن الصوم له وجاء"<sup>52</sup>؛ وعن الرضا عليه السلام: "... علة الصوم لعرفان مس الجوع والعطش، ليكون ذليلاً مستكيناً، محتسباً، صابراً... مع ما فيه له من الانكسار عن الشهوات"<sup>53</sup>.

وثمة توصيات كثيرة بخصوص تذكية العقل وتقويته، بعضها له جوانب مادية، وبعضها له جوانب معنوية، كقول أمير المؤمنين عليه السلام: "أدب العلماء زيادة في العقل..."<sup>54</sup>.

48 الكليني، م، ج، 6، ص 47.

49 الكليني، م، ج، 4، ص 63؛ والحر العاملي، وسائل الشيعة، ج 10، ص 407.

50 نهج البلاغة، ت صبحي الصالح، ص 249.

51 المجلسي، بحار الأنوار، ص 294.

52 ابن أبي الجمهور، قرب الإسناد، ج 3، ص 290.

53 الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج 2، ص 173.

54 المجلسي، بحار الأنوار، ج 1، ص 141.

أي أنّ مجالسة العلماء وتعلّم آدابهم، والنظر إلى أفعالهم وأخلاقهم موجبةٌ لزيادةِ العقل؛ وقال أمير المؤمنين أيضًا: "نكّ عقلك بأدبٍ كما تُدكّي النارُ بالحطب"<sup>55</sup>؛ وقال: "إذا كان الآباءُ هم السببُ في الحياة، فمعلّمو الحكمة والدين هم السببُ في جودتها"<sup>56</sup>.

### مراعاة الفروق الفردية

لقد راعت وصايا الأئمة أمرًا مهمًا في عملية التربية والتعليم هو ما يسمّيه علماء النفس التربويون اليوم "مراعاة الفوارق الفردية وقدرات المتربّين واستعداداتهم".

في مرحلة الطفولة الأولى أو السنوات السبع بحسب وصية أمير المؤمنين عليه السلام، يكون الوالدان هما المسؤولان عن تربية الطفل وتوجيهه وتعليمه، يساعده في مجتمعاتنا نحن الجدان والأخوة الكبار والأقارب والمربّون في دور الحضانة (غير المؤهلين لهذه المهمة الصعبة في معظم الأحيان). هذه السنوات هي التي تحدّد شخصيّة الطفل كبيرًا: لذلك فإنّ المحبّة الصادقة والحقيقيّة للأطفال وهدايتهم وتوجيههم برفق، من دون تعنيف، ومن دون إجراء مقارنات بينهم وبين غيرهم من الأطفال أمرٌ شديد الأهميّة لتنمية ثقتهم بأنفسهم. في مرحلة الطفولة الثانية (من السابعة حتى الرابعة عشرة) يتوجّب على المتربّين (الأهل والمعلمين) الانتباه إلى الجوانب والصفات التي تميّز طفلًا من آخر: وضع البدن وشكله، القبح والجمال والسلامة والاعتلال؛ وكذلك الحالة الذهنيّة والفكريّة: مستوى الذكاء والقدرة على التحليل والاستدلال، وقوّة الحافظة أو النسيان، وتشتّت الحواس، والقدرة على التركيز، ومستوى العلاقة بأقرانه، والإحساس بالأم الآخرين، أو إظهار اللامبالاة...

وكلام الإمام الصادق (ع) حول ضرورة ملاحظة قدرة المتربّي واستعداده، لا يدع مجالاً للشك أو التشكيك حول ضرورة مراعاة الفوارق الفردية، لأنّ حظوظ الناس ومستوياتهم مختلفة، وأنّ تكليف ذي الحظّ الأوفر لا ينبغي أن يُلقى على من هو أدنى منه، وعن مستويات الذكاء والقدرة على الاستيعاب عند الأفراد، يقول: "... إنّ من المسلمين من له سهْمٌ ومنهم من له سهمان، ومنهم من له ثلاثة أسهُمٍ ومنهم من له أربعة أسهُمٍ، ومنهم من له خمسة أسهُمٍ، ومنهم من له ستة أسهُمٍ، ومنهم من له سبعة أسهُمٍ، فليس ينبغي أن يُحمّل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين، ولا صاحب السهمين على ما عليه صاحب الثلاثة، ولا صاحب الثلاثة على ما عليه صاحب الأربعة، ولا صاحب الأربعة على ما عليه صاحب الخمسة، ولا صاحب الخمسة على ما عليه صاحب الستّة، ولا صاحب الستّة على ما عليه صاحب السبعة..". وبعد ذلك روى لمخاطبيه قصة ذلك الرجل الذي كان له جارٌ نصرانيٌّ، فدعاه إلى الإسلام وزيّنه له، فأجابه، فأتاه

<sup>55</sup> ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج4، ص 538.

<sup>56</sup> م، ن، ج4، ص 532.

سُخِّرًا ففرع عليه الباب، ودعاه إلى مرافقته إلى المسجد لصلاة الفجر، ومكثا في المسجد حتى الصباح، ومنعه من العودة إلى منزله بانتظار الصباح فالعصر، فالمغرب، فالعشاء...

في اليوم الثاني، حين قرع بابه ليدعوه إلى الصلاة: قال له: "أطلب لهذا الدين من هو أفرغ مني وأنا إنسان مسكين، وعليّ عيال. فقال أبو عبدالله عليه السلام: أدخله في شيءٍ أخرجه منه"<sup>57</sup>.

إنّ بقاء المجتمع متوقّف على وجود أفراد مختلفين، ذوي تنوّع رجالاً ونساءً يكمل بعضهم بعضاً من حيث القدرات الجسدية والعقلية والفكرية، والمادية والمعنوية، والروحية والعاطفية، والعرقية... ولولا ذلك لتوقّفت عجلة المجتمع.

قال أمير المؤمنين (ع): "لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا، فإذا استوّوا هلكوا"<sup>58</sup>.

ويقول الإمام الصادق (ع): "إنّ الإيمان عشرُ درجات بمنزلة السلم، يُصعد منه مرقاةً بعد مرقاة، فلا يقولنّ صاحبُ الإثنين لصاحبِ الواحد، لست على شيء، حتى ينتهي إلى العاشر، فلا تُسقط من هو دونك، فيسقطك من هو فوقك، وإذا رأيت من هو أسفل منك بدرجةٍ فارفعه إليك برفقٍ، ولا تحمِلنّ عليه ما لا يُطيقُ فتكسره، فإنّ من كسر مؤمناً فعليه جبرُه"<sup>59</sup>.

ما من كلام أدلّ من هذا الكلام على ضرورة مراعاة قدرات الأشخاص والرفق بهم في مسار تعليمهم وإرشادهم وتربيتهم وتعديل سلوكهم.

إنّ مردّد تفرّد شخصية الإنسان يعود إلى عوامل عديدة: جسدية ونفسية وعقلية، فلا ينبغي أن تكون أمور تعليمهم وتربيتهم في مستوى واحد وسرعة واحدة ومقدار واحد، ولدى معلّم واحد، هذا ما تنبّه له المرّبون في القرن العشرين في الغرب، لكنّ في بلداننا لا الأهل متنبّهون إلى هذا الأمر ولا المدارس...

في هذا السياق يحدثنا القرآن الكريم في سورة الكهف عن قصّة موسى (ع) والعبد الصالح أحد أصحاب المعارف والعلوم، والعالم بالأسرار، يطلب موسى (ع) إليه أن يرافقه ليتعلّم منه، لكنّ العبد الصالح يقول له: إنّه لن يستطيع معه صبراً، فيتعهد له موسى أن يصبر ولا يعصي له أمراً، لكنّه في المواقف المختلفة ينتقد معلّمه، لأنّه لم يحتمل الحقائق المخفية والمعقدة واكتفى بظواهرها، ولم ينتظر تأويلها؛ فإذا كانت هذه حال أحد الأنبياء، فكيف بالناس العاديين؟

قال الإمام الصادق (ع): "ما كَلَّمَ رسولُ الله العبادَ بكنهٍ عقله قطّ... وقال صلى الله عليه وآله وسلّم: إنّنا \_معاشِرَ الأنبياء\_ أمرنا أن نكلّم الناس على قدر عقولهم"<sup>60</sup>.

هذا الحديث تأكيدٌ على أهميّة الأخذ في الحسبان مستوى المخاطبين العقلي وقدرة كلّ منهم على استيعاب ما يُلقنّه، كبيراً كان أم صغيراً، والصغير حتّى أولى بالعناية، والاهتمام به فرداً مستقلاً عن الآخرين: إنسانياً ومزاجياً وذكاءً، وإعداد الظروف الملائمة لتنمية عقله ومواهبه، ولا يجوز للأهل على

<sup>57</sup> الكليني، الكافي، ج3، ص 112.

<sup>58</sup> الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج2، ص 80.

<sup>59</sup> الكليني، الكافي، ج2، ص 45.

<sup>60</sup> الكليني، الكافي، ج1، ص 23.

الإطلاق مثلاً فرضاً نمطاً تعليمياً أو تخصصياً كانوا هم يحلمون به، على ولد غير مؤهل له؛ وفي الوقت نفسه لا يعني أن يُترك له الحبل على غاربه.

### الثواب والعقاب في التربية

إن الإسلام كما ورد في النصّ القرآني وفي أحاديث المعصومين يرى أنّ الإنسان كائنٌ حرٌّ مختارٌ، وهبه الله تعالى نعمة الوجود والحياة والعقل، كما وهبه صفة الحرية الفطرية والوجدانية، التي تمثل بالنسبة إليه الرسول الباطن، ومن يفتقد هذا الميزان الفطريّ والمعياريّ الإلهي، يخرج من دائرة التشريع والتكليف وهناك قاعدة عقلية قرآنية تنصّ على تقدّم البيان والموعظة على التكليف ليستحقّ الإنسان الثواب والعقاب على أعماله الاختيارية، وهو ما يُعبّر عنه بما اصطلح العلماء على تسميته بـ"قبح العقاب بلا بيان"، فضلاً عن أنّ القرآن قد صرّح برعاية هذه القاعدة في قوله:

{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۗ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفصامَ لَهَا ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ؛ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} (البقرة/٢٥٦-٢٥٧).

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا} (النساء/١٧٤).

{إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۗ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتِلَافْتُمْ فِي الْمِيعَادِ ۗ وَلَا كُنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَن هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَن حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ} (الأنفال/٤٢).

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۗ قَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (المائدة/١٩).

{رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} (النساء/١٦٥).

{وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} (النساء/١١٥).

إذا يُحاسبُ الإنسان على أساس الفطرة السليمة، وعلى أساس ما وهبه الله من عقل؛ ويُنسب إلى أمير المؤمنين (ع) قوله: "العقل شرعٌ من داخل، والشرع عقلٌ من خارج"<sup>61</sup>؛ وهذا ما يُسمّى في علم أصول الفقه "قاعدة الملازمة" التي يُقصد بها أنّ: "كلّ ما حكم به العقل حكم به الشرع"<sup>62</sup>، وعلى أساس ما أوحى الله به إلى أنبيائه وبلغوه هم للناس. وقال أمير المؤمنين (ع): "أيها الناس إنّ آدم لم يلد عبداً ولا أمةً، وإنّ الناس

<sup>61</sup> الطبرسي مجمع البحرين، ج5، ص 425.  
<sup>62</sup> الأنصاري، مطروح الأنظار، ج2، ص 344.

كلّهم أحراراً<sup>63</sup>؛ وقال الإمام الصادق "العملُ الصالح من العبدِ بفعله والله به أمره، والعملُ الشرُّ من العبدِ بفعله والله عنه نهاه"<sup>64</sup>.

إنّ الإنسان الحرّ هو الذي يختار ملذّات الدنيا ونعيمها أو رضوان الآخرة وسعادتها، لذلك لا بدّ في عمليّة التربية للإنسان منذ طفولته أن يُربّى على أنّه حرٌّ في اختياره، وأنّه قادرٌ على ذلك، وأنّ بإمكانه أن يحدّد مصيره بنفسه وقدرته وإرادته، وذلك بواسطة القصص والأمثال والإشارات اللطيفة؛ فانه جلّ وعلا لم يشأ إجبار الناس على الإيمان والعبادة: {قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ} (الأنعام/١٤٩).

وقال امير المؤمنين (ع): "... فأنزل الله تبارك وتعالى: يا محمد، ولو شاء ربُّك لآمن من في الأرض كلُّهم جميعاً، على سبيل الإلجاء والاضطرار في الدنيا... ولو فعلتُ ذلك بهم لم يستحقّوا منّي ثواباً ولا مدحاً، لكنّي أريد منهم أن يؤمنوا مختارين غير مضطرين، ليستحقّوا مني الزلفى والكرامة ودوام الخلود في جنّة الخلد"<sup>65</sup>.

إذا الواجب تنمية عقل الإنسان، منذ مرحلة الطفولة كما ذكرنا من قبل، والتدرّج في التعاليم الموحى بها إلى نبيّه، ليسلك بكامل اختياره الطريق الذي يستهويه، إمّا الصراط المستقيم، وإمّا الملىء بالحفر المؤدّي إلى الضلالة والغواية؛ فإمّا أن يرتفع إلى مصافّ الملائكة أو يهبط إلى مصافّ الوحوش والشياطين.

إنّ الله تعالى قد خيّر عباده بين قبول الهداية أو الإعراض عنها، وعلى المرّبين أيضاً، أن يؤدّوا ضمن عمليّة تعليم الأطفال والفتيان وتربيتهم دوراً من يمهد الطريق للسالكين فيه، لا من يُجبر الناس على سلوكه، ومن يرشدهم بما لا بدّ منه من البيان والمساعدة، لتكون المسؤوليّة تاليّاً على المترّبين أنفسهم ليختاروا الطريق الصحيح.

### التربية غير المباشرة قبل التأديب المباشر

هنالك طريقتان للتربية والهداية جرّبها المرّبون: الأهل والمعلمون هما التربية المباشرة والتربية غير المباشرة؛ أمّا نظام التربية الإسلاميّة كما وردت في القرآن الكريم وفي أحاديث المعصومين فهي أسلوب التربية غير المباشرة لأغلب المتعلّمين، وذلك بتوجيه الخطاب إلى غير المخاطب الأصلي.

تندر في القرآن الكريم طريقة التذكير والتنبيه التي تتوجّه مباشرةً إلى فردٍ مخاطبٍ حيٍّ أو معاصرٍ وتذكر اسمه، والغالب أنّه عند توبيخ بعض الأمّة أو الثناء عليهم، إمّا أن يسوق خطابه بنحوٍ عام ناظرًا إلى صنفٍ أو طائفةٍ من تلك الجماعة كالمؤمنين والمشركين أو المنافقين، ليبقى المخطئ مجهولاً وفي الوقت نفسه يطّلع على خطئه؛ وقد عبّر عن هذا الأسلوب في الأمثال العربيّة بالكلمة المشهورة: "إياك أعني واسمعي يا جارة"، وهذا المثل يُضرب لمن يتكلم بكلام وهو يريد غيره<sup>66</sup>، وقد ورد الحديث عن هذا الأسلوب غير المباشر في النص القرآنيّ في قول الإمام جعفر الصادق (ع): "نزل القرآن بإياك أعني واسمعي يا جارة"<sup>67</sup>؛ وفي قول الإمام عليّ بن موسى الرضا (ع): "... قال المأمون، فأخبرني عن قول الله

<sup>63</sup> الكليني، الكافي، ج8، ص 69.

<sup>64</sup> الطبرسي، الآداب الدينية، ج2، ص 341.

<sup>65</sup> الصدوق، التوحيد، ص 342.

<sup>66</sup> الميداني، مجمع الأمثال، ج1، ص 49.

<sup>67</sup> الكليني، الوافي، ج2، ص 631.

عزَّ وجلَّ: "عفا الله عنكم لم أذنت لهم؟؟" ، قال الرضا عليه السلام: " هذا مما نُزِّلَ بآيائك أعني واسمعي يا جارة، خاطب الله عزَّ وجلَّ بذلك نبيّه وأراد به أمته، وكذلك قوله تعالى: "لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكوننَّ من الخاسرين " وقوله عزَّ وجلَّ: "ولولا أن ثبتناك، لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً"<sup>68</sup>.

في هذا السياق تأتي أهمية الأمثال والحكايات والقصص في العملية التربوية:

القرآن نفسه يفخر بجماله وكماله بالقول: { لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } (الحشر/ ٢١).

ويقول:

{ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ } (الزمر/ ٢٧).

و { وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ } (العنكبوت/ ٤٣).

إن الله عزَّ وجلَّ يريد من عباده أن يفكروا في ما ضرب من أمثال، وأن يعملوا عقولهم ليتذكروا موروثات فطرتهم، فظرة عميقة في بعض الأمثال القرآنية توضح هذا المبدأ:

{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ؛ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ؛ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ } (ابراهيم/ ٢٤-٢٦).

{ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ } (البقرة/ ٢٦١).

{ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعُنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتَهُ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعُنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } (العنكبوت/ ٤١).

وفي سورة لقمان نشهد قمة التعاليم والإرشادات القرآنية في مجال تربية الأبناء؛ وقد كان للرسول الأكرم ولأنمة عليهم السلام تمثيلات مبدعة من ذلك على سبيل المثال لا الحصر قول الرسول الأكرم (ص): " مثل الذي يتعلم العلم في صغره كالنقش على الحجر، ومثل الذي يتعلم العلم في كبره كالذي يكتب على الماء"<sup>69</sup>.

وقول الإمام الباقر (ع): "مثل الحريص على الدنيا مثل دودة القز، كلما ازدادت من القز على نفسها لفاً، كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غمماً"<sup>70</sup>.

وقول الإمام الصادق (ع): " مثل الدنيا كمثل البحر المالح، كلما شرب العطشان منه ازداد عطشاً حتى يقتله"<sup>71</sup>...

<sup>68</sup> الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج1، ص 202.

<sup>69</sup> الشهيد الثاني، منية المرید، ص 225.

<sup>70</sup> الكليني، الوافي، ج2، ص 316.

<sup>71</sup> الكوفي الأهوازي، الزهد، ص 48.



## قائمة المصادر والمراجع

### فضلاً عن القرآن الكريم

- 1- ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، قم: مكتبة آية الله المرعشي النجفي، 1404هـ.
- 2- ابن أبي جمهور، محمد بن زين الدين، عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، تحقيق: مجتبی عراقی، قم: دار سيد الشهداء للنشر، 1405هـ.
- 3- ابن حنبل الشيباني، أحمد بن محمد، مسند أحمد بن حنبل، مصر: مطبعة الميمنة، 1313هـ.
- 4- ابن سعد، أبو عبدالله محمد، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1968م.
- 5- ابن فارس، الرازي، أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، قم: مكتب الإعلام الإسلامي، 1404هـ.

- 6- ابن ماجة القزويني، (لات)، سنن ابن ماجة، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- 7- ابن منظور، محمد بن مكرم الإفريقيّ. لسان العرب، الطبعة الثالثة، تحقيق: جمال الدين ميردامادي، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1414 هـ.
- 8- الأنصاري، مرتضى، مطارح الأنظار، مقرّر: أبو القاسم بن محمد بن علي كلانترى نوري، تحقيق: لجنة التحقيق تراث الشيخ الأعظم، قم: مجمع الفكر الإسلامي، 1338 شـ.
- 9- البرقي، أحمد بن محمد بن خالد، المحاسن، تحقيق: جلال الدين محدث، قم: دار الكتب الإسلاميّة، 1371 هـ.
- 10- التهانوي، محمد علي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، بيروت: مكتبة لبنان، 1996 م.
- 11- التميمي الأمدي، عبد الواحد بن محمد، غرر الحكم ودرر الكلم، تحقيق: سيد مهدي رجائي، قم: دار الكتاب الإسلاميّة، 1410 هـ.
- 12- الجرجاني، عبد القاهر، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، 1422 هـ.
- 13- الحر العاملي، محمد بن حسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، 1409 هـ.
- 14- الحلبي، علي بن يوسف، العُدّة القوية لدفع المخاوف اليومية، قم: مكتبة المرعشي، 1408 هـ.
- 15- الحميري، عبدالله بن جعفر، قرب الإسناد، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، 1413 هـ.
- 16- الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، الطبعة الأولى، تحقيق: علي هلالى وعلي سيري، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1414 هـ.
- 17- زين العابدين، علي بن الحسين عليهما السلام، الصحيفة السجادية، قم: دار الهادي للنشر، 1434 هـ.
- 18- سيف، علي أكبر، روان شناسى برورشى، روان شناسى يادكيرى وآموزشى، طهران، آگاه.
- 19- الشريف الرضي، محمد بن حسين، نهج البلاغة، الطبعة الأولى، تحقيق: صبحي الصالح، قم: مؤسسة دار الهجرة، 1414 هـ.
- 20- الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، عيون أخبار الرضا عليه السلام، تحقيق: مهدي لاجوردى، طهران، دار الجهان للنشر، 1378 هـ.
- 21- الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، التوحيد، تحقيق: هاشم الحسيني، قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلميّة، قم، 1398 هـ.
- 22- الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، الخصال، تحقيق: علي أكبر غفارى، قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم: 1403 هـ.
- 23- الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، قم: دار الشريف الرضي للنشر، 1406 هـ.

- 24- الصدوق، محمد بن علي بن بابويه، **من لا يحضره الفقيه**، محقق ومصحح: علي أكبر غفاري، قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم: 1413 هـ.
- 25- صليبا، جميل، **المعجم الفلسفي**، بيروت: شركة العالمية، 1414 هـ.
- 26- الطباطبائي، محمد حسين، (1339 ق)، **تفسير الميزان**، الطبعة الثالثة، بيروت: مؤسسة إسماعيليان.
- 27- الطبرسي، حسن بن فضل، **مكارم الأخلاق**، الطبعة الرابعة، قم: دار الشريف الرضي للنشر، 1412 هـ.
- 28- الطوسي، محمد بن الحسن، **تهذيب الأحكام**، تحقيق: حسن الموسوي خراسان، طهران: دار الكتب الإسلامية، 1407 هـ.
- 29- العاملی، زين الدين بن علي، **شرح مصباح الشريعة**، المترجم: عبد الرزاق الكيلاني، تحقيق: محمد بن حسين آقا جمال الخوانساري، طهران: بياح حق للنشر، 1377 ش. [1998]
- 30- العاملی، زين الدين بن علي، **الشهيد الثاني، منية المرید في أدب المفید والمستفيد**، قم: مكتب الإعلام الإسلامي، 1409 هـ.
- 31- العروسي الحويزي، عبد علي، **تفسير نور الثقلين**، تصحيح: السيد هاشم رسولي المحلاتي، قم: المطبعة العلمية، 1415 هـ.
- 32- العسكري، حسن بن علي عليهم السلام، **التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام**، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم، 1409 هـ.
- 33- العياشي، محمد بن مسعود، **تفسير العياشي**، الطبعة الأولى، تحقيق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، طهران: المطبعة العلمية، 1380 هـ.
- 34- الفراهيدي، خليل بن أحمد، **كتاب العين**، الطبعة الثانية، تحقيق: مهدي مخزومي وإبراهيم السامرائي، قم: مؤسسة دار الهجرة، 1409 هـ.
- 35- الفيومي، أحمد بن محمد، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، الطبعة الثانية، قم: مؤسسة دار الهجرة، 1414 هـ، [1982 م].
- 36- القضاعي، محمد بن سلامة، **شهاب الأختار**، تحقيق: جلال الدين الحسيني الأرموي (المحدث)، طهران: المركز العلمي والثقافي للنشر، 1361 ش.
- 37- الكراچكي الطربلسي، محمد بن علي، **معادن الجواهر ورياضة الخواطر**، الطبعة الثانية، تحقيق: أحمد حسيني، طهران: المكتبة المرتضوية، 1394 هـ.
- 38- الكليني، محمد بن يعقوب، **الكافي**، تحقيق: علي أكبر غفاري ومحمد آخوندي، طهران: دار الكتب الإسلامية، 1407 هـ.
- 39- الكوفي الأهوازي، حسين بن سعيد، **الزهد**، محقق/مصحح: غلام رضا عرفانيان يزدي، قم: المطبعة العلمية، 1402 هـ.
- 40- المتقي الهندي، **كنز العمال في سنين الأقوال والأفعال**، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985.
- 41- المجلسي، محمد باقر بن محمد تقي (1403). **بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1403 هـ.

من أساليب التربية غير المباشرة التي اهتم بها القرآن الكريم والرسول الأكرم مسألة التأديب والهداية بأسلوب القصص لأخذ العبرة:

{كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا؛ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا} (طه/ ٩٩-١٠٠).

{هُلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} (الأعراف/ ١٧٦).

{هُوَ كَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} (هود/ ١٢٠).

{ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ } (يوسف/ ٣).

{ لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ } (يوسف/ ١١١).

إنَّ القصص القرآني حين تُعاد كتابته بأساليب مختلفة وتُصنع منه أفلامٌ وتمثيلاتٌ تناسب الصغار، وتناسب الكبار، وكذلك اعتماد القصص المصورة والأفلام والمسرحيات لمختلف الدروس والمواضيع التي يريد المعلمون والمربون أن يوصلوها إلى الصغار والكبار، مع ضرورة الالتزام بالقواعد والضوابط العقلية والعلمية والدينية والأخلاقية، للتعريف بأيٍّ من الشخصيات التي يمكن أن تكون قدوةً للناس من مختلف الأعمار، الشخصيات الأفضل والأعلم من الماضي والحاضر، والتعريف كذلك بالشخصيات الأسوأ لتبيان ما أصابهم بسوء عملهم، ولتجنب اتباع الطرق التي يمكن أن تؤدي بالإنسان ليصبح مثلهم.

[ يحضرنى في هذا السياق أن أذكر أننا نحن الكبار في السن الذين تعلمنا بطرق متخلفة جداً، لم نستقد مما لقنناه في دروس التاريخ في المدرسة، في حين أن ما قرأناه صغاراً في روايات جرجي زيدان التاريخية لا يزال ماثلاً في أذهاننا].

42- المفيد، محمد بن محمد، الأمالي، تحقيق: حسين استاد ولي وعلي أكبر غفاري، قم: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم: 1413 هـ.

43- النوري، حسين بن محمد تقي، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الطبعة الأولى، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، 1408 هـ.

44- النيسابوري، مسلم، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1991 م.

تربويًا، سبق القرآن الكريم علماء النفس وعلماء التربية الغربيين في تأكيده على أهمية التعليم من خلال التمثيل والقصص؛ وفي تجربتنا في تعليم الأطفال من خلال القصص، وجدنا أنّ القصة توصل ما نريد إلى الأطفال بشكل مؤثر ومسل، ومن خلال القصص يمكننا أن نوصل إلى الصغار والكبار الإرث الثقافي بأكمله على شكل حكايات تهب الحياة معناها الأمل. إنّ الحكايات والأساطير هي الأكثر جاذبية، فالطفل يرى نفسه في كلّ المعارك التي يخوضها البطل كأنه يواجهه معه المشاكل والمتاعب، ويحقق معه النصر، فيؤمن أنّ الفضيلة هي المنتصرة دائمًا، وهذا ما يهب الطفل ثقةً بالنفس، وهو يستعيد في داخله كيفية مواجهة البطل للمشاكل التي واجهته. إنّ القصة تعلم الطفل أنّ مواجهة المشاكل في الحياة أمرٌ لا بدّ منه، وهو جزءٌ طبيعيٌّ من حياة الإنسان، وأنّ الإنسان إن لم يترجع ويتخاذل وبقي ثابتًا على موقفه، وأصرّ على مواجهة المشاكل وتخطي الصعاب والمتاعب غير المتوقعة والظالمة في معظمها فإنّه لا بدّ منتصرٌ في النهاية.

## الخلاصة

إنّ الهدف النهائي للتربية هو خلق مواطنين صالحين وأشخاصًا أسوياء، ولأجل ذلك يجب اعتماد كلّ طريقةٍ أو وسيلةٍ تجعل الطفل إنسانًا قادرًا على التمييز بين الخير والشرّ، بين الصحيح وغير الصحيح، من أبسط الأمور إلى أشدها تعقيدًا، وذلك بأن لا نلجأ إلى عقابه على أعمال لا يعرف نتائجها، أو أن ندخله مدرسة أو حضنة تكون سجنًا له، يعامل فيها كالراشد، يُقمع ويُعاقب فيتحوّل في ما بعد إلى إنسانٍ ضعيفٍ مسلوب الإرادة، يعيش خوفًا دائمًا من عقاب الأبوبين أو من عقاب المعلمين، أو من عقاب الله عزّ وجلّ كما يفعل بعض معلمي التربية الدينية، أو يتحوّل إلى إنسانٍ متمردٍ متحدٍ للقيم. إنّنا تعلّمنا من خلال تجربتنا الطويلة في التعليم بمختلف مستوياته، أنّ المتمردين على ما تعلموه من أهلهم أو معلمهم في معظمهم من الأذكياء ذوي الشعور المرهف، الذين آذاهم ظلم الأهل والعقوبات غير المناسبة للذنب، من بينهم أبناء علماء دين كبار ومشهورين، أهملوا وهم صغار أو عوملوا معاملة سيئة، فتحدّوا الدين تحدّيًا لآبائهم الظالمين أو غير المكثرين، لا سيّما أولئك الذين تعدّدت زوجاتهم...

إنّ الطفل المحبوب غير المعنّف لا يكذب، وإن نحن ربّينا طفلًا لا يكذب، نكون قد صنعنا رجلاً أو امرأة مثاليين، لأنّ الكذب هو أساس كلّ رذيلة.

## الحواشي